بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التأسيس فى بيان أهمية الجليس

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧١] أما بعد:.

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة.

يقول الله تعالى ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف:٢٨]

ويقول سبحانه وتعالى ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النجم:٢٩]

وقال سبحانه ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام:٦٨]

في هذه الآيات المباركات يأمر ربنا جل وعلا عباده بأمر عظيم ألا وهو اختيار الصاحب والجليس الصالح، فإن الإنسان لابد له من جليس وأنيس وما سُمِّي الإنس إنساً إلا لأنه يأنس بغيره ويأنس به غيره ولابد، ولذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده "الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب" أخرجه أبو داود وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (١)

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: لأنه لا يأنس بصاحب ولا يقطع طريقه محدث يُهون عليه مؤنة السفر، كالشيطان الذى لا يأنس بأحد.ا.هـ (٢)

فالعبد لابد له من مؤنس صالحٍ كان أم غير صالح فلذا كان مأمورا أن يحسن اختيار جليسه لأن الله جبله على حب المؤانسة والمجالسة هذا أمر، وأمر آخر وهو أنه يتأثر بجليسه ويقتدي به ولابد فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل " . رواه أحمد وغيره وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (٣)

(١) . حسن .أبوداود [٢٦٠٧] السلسلة الصحيحة [٦٢]

(٢) . «شرح صحيح البخارى لابن بطال» (٥/ ٥٤)

(٣) . حسن .أحمد [٨٤١٧] الصحيح المسند [١٢٧٢] السلسلة الصحيحة [٩٢٧]

قال المبارك فور رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قَوْلُهُ : (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)أَيْ يُحْشَرُ مَعَ مَحْبُوبِهِ ، وَيَكُونُ رَفِيقًا لِمَطْلُوبِهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩﴾ [النساء:٦٩].ا.هـ(١)

فالصاحب ساحب والطبع سراق فمن وفقه الله لصحبة صالحة فقد حصَّل خيرا عظميا، فمجالسة أهل الصلاح والخير والعلم مغنم والله وأي مغنم ،ولذا رحل كليم الله ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام وضرب في الأرض من أجل تحقيق هذه المصلحة العظيمة وهي مصاحبة أهل الفضل والعلم فقال الله عنه ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ٦٢ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦﴾ [الكهف:٦٦]

ولما كان الأمر كذلك أعني تأثر الجلس بجليسه أمر الله جل وعلا في كتابه وكذلك نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ في سنته بالحرص على مجالسة أهل الخير والاستقامةوتحري ذلك فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنه سمع النبي

(١) . «تحفة الأحوذي» (٧/ ٥١)

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول "لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي" رواه أحمد وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]

قال المُناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكامل الإيمان أولى لأن الطباع سراقة، ومن ثم قيل صحبة الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنا ، وإذا مرت على الطيب حملت طيبا ، وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس أحد إلا له محب ومبغض فإذن لا بد من ذلك فليكن المرجع إلى أهل طاعة الله.ا.هـ[٢]

وقد ضرب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مثلا بليغا للجليس الصالح والجليس السوء وعظيم تأثر العبد به فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة" [٣]

وعند أبي داود والنسائي عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ "مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء

(١) . حسن .أحمد [١١٣٣٧] «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢/ ١٢٢٦[٧٣٤١]

(٢) . «فيض القدير» (٦/ ٤٠٥)

(٣) . البخاري [١٩٩٥] مسلم [٢٦٢٨]

أصابك من ريحه ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه " صححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]

قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فيه مدح الصحابة حيث كان جليسهم رسول الله حتى قيل ليس للصحابي فضيلة أفضل من فضيلة الصحبة ولهذا سموا بالصحابة مع أنهم علماء كرماء شجعاء إلى تمام فضائلهم.ا.ه[٢]

فالمجالس لابد أن يناله أثر تلك المجالسة مجالس الطيب ينال أثر ذلك ومجالس الكَيَّار ينال أثر ذلك.

ولأهمية الصحبة وخطرها أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من أراد أن يتزوج من الرجال أوالنساء أن يحرص كلا منهما على ذا الدين والخلق لتأثر كل منهما بالآخر فقال في جانب الرجال " تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك" متفق عليه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٣]

وقال للنساء وأوليائهن " إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض ". رواه الترمذي عنه أيضاً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]

---

(١) . صحيح.أبوداود[٤٨٢٩] الجامع الصغير وزيادته - (١ / ١٠٧٨)[١٠٧٧٨]

(٢) . «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢١/ ١٣٥)

(٣) . البخاري [٤٨٠٢] مسلم [١٤٦٦]

(٤) . حسن .الترمذي [١٠٨٤] السلسلة الصحيحة [١٠٢٢]

ولذا سمى الله الزوجة صاحبا فقال سبحانه وتعالى ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴿٣٦﴾﴾ [النساء:٣٦]

بل والولد يتأثر بمجالسة أبيه وأمه إن كانا على غير الإسلام فيغيران فطرته ودينه والعياذ بالله عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يحدث قال : قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء" متفق عليه(١)

بل حتى الوالد يتأثر بولده فقد يرديه ولده بسبب مجالسته له ألا ترى كيف أمر الله الخضر عليه الصلاة والسلام أن يقتل ذلك الغلام خشيت أن يكون سببا لإضلال أبويه فقال الله سبحانه وتعالى عن الخضر أنه قال لموسى عن سبب قتله للغلام ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [الكهف:٨١]

بل إن النظر إلى أهل الخير والصلاح مما يزيد العبد صلاحا و تقوى وهو عبادة لله سبحانه أخرج اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اعتقاد أهل السنة عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهي عن البدعة عبادة .ا.هـ (٢)

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : مجرد النظر الى أهل الصلاح يؤثر صلاحا والنظر الى الصور يؤثر أخلاقا وعقائد مناسبة لخلق المنظور وعقيدته كدوام النظر الى المحزون يحزن والى

---

(١) . البخاري [١٢٩٣]مسلم [٢٦٥٨]

(٢) . «شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي - حسن أبو الأشبال» (٤/ ١٧ بترقيم الشاملة)

المسرور يسر والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الذلول فالمقارنة لها تأثير في الحيوان بل في النبات والجماد ففي النفوس اولى وانما سمي الانسان انسانا لانه يأنس بما يراه من خير وشر.ا.هـ(١)

فالجليس الصالح من علامة إرادة الله الخير للعبد وتوفيقه له فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه" رواه أبو داود صححه الألباني(٢)

ويكفيهم شرفا وفخرا تزكية الله لهم بعدم شقاء مُجَالِسِهِمْ لهم فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : " إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا :هلموا إلى حاجتكم " قال : " فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا " ... إلى أن قال : " فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم " قال : " يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال : هم الجلساء لا يشقى جليسهم " . رواه البخاري (٣)

فاحرصوا عباد الله على أولئك القوم فهم عُدة في الدنيا وذخر في الآخرة .

أسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يصرف عنا كل سوء وأهله و الحمد لله رب العالمين.

---

(١) . «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ٤٩٥)

(٢) . صحيح.أبو داود [٢٩٣٢] صحيح الجامع [٣٠٢]

(٣) . باب" فَضْلِ التَّسْبِيحِ" رقم [٦٠٤٥]

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد أيها الناس :.

وكم يجد العبد من الفوائد والمغانم العظيمة في مجالسة أهل الهدى والصلاح فمن ذلكم أن العبد ينال تزكية وثناء الله له بل ومحبته جل وعلا لمن يجالسهم بسبب ذلك عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول " قال الله تعالى : وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين في " . رواه مالك وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ[1]

ومن ذلكم أيضا:. انكفاف العبد عن المعاصي والفواحش بسبب مجالستهم حياء منهم وهذه نعمة وفضل قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من التلبس بشيء من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم .ا.هـ[2]

ومن ذلكم أيضا: أنك ربما تسمع منهم كلمة في مجلس واحد من مجالسهم فينفعك الله بها في دنياك وأخراك ،وتأملوا إلى ذلك العبد الذي قتل مائة نفس ثم نفعه الله بمجالسة ذلك العالم فسمع منه كلمة في مجلس واحد نفعه الله بها بقية حياته بل وآخرته فإنه حينما سأل ذلك العالم هل له من توبة كما من حدث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له: نعم من يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف

(١) . صحيح .مالك [١٦] «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢/ ٧٩٨) «٤٣٣١»

(٢) . «فتح الباري لابن حجر» (١/ ١٢٠)

الطريق فأتاه ملك الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة. مسلم (١)

وذلك الغلام اليهودي نفعه الله بمجلس جلسه مع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ وقال كلمة نفعه الله بها بل وأعتقه بها من النار عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال : كان غلام يهودي يخدم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ فمرض فأتاه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ يعوده فقعد عند رأسه فقال له : " أسلم " . فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال : أطع أبا القاسم . فأسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: " الحمد لله الذي أنقذه من النار " رواه البخاري (٢)

ومن الفوائد أيضا: أن في ذلك إعانة للعبد على الخير والاستقامة عليه

وتأملوا كيف دله على تلك القرية الصالح أهلها لأن في ذلك إعانة له على فعل الخير والصلاح والتوبة.

وعند حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: كَانَ النَّبِيُّ عليه السلام ، أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي

(١) . مسلم " قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ ..." برقم [٢٧٦٦]

(٢) . باب " إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ "برقم [١٢٩٠]

رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ ، يَعْرِضُ النَّبِيُّ ، عليه السلام ، عليه الْقُرْآنَ ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ . متفق عليه(١)

قال الإمام ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال المهلب : وفيه بركة مجالسة الصالحين ، وأن فيها تذكار لفعل الخير ، وتنبيها على الازدياد من العمل الصالح ، ولذلك أمر عليه السلام بمجالسة العلماء ، ولزوم حلق الذكر ، وشبه الجليس الصالح بالعطار إن لم يصبك من متاعه لم تعدم طيب ريحه . ألا ترى قول لقمان لابنه: يا بنى جالس العلماء ، وزاحمهم بركبتيك ، فإن الله يحيى القلوب بنور الحكمة ، كما يحيى الأرض الميتة بوابل السماء ، وقال مرة أخرى : فلعل أن تصيبهم رحمة فتنالك معهم ، فهذه ثمرة مجالسة أهل الفضل ولقائهم .ا.ه(٢)

فمجالسة أهل الصلاح حياة للقلوب والله ،قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ثلاثة تزيد في العقل مجالسة العلماء أو مجالسة الصالحين، وترك الكلام فيما لا يعنيه.ا.ه(٣)

وتأملوا إلى هذا الأثر العظيم عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم

(١) . البخاري [٦] مسلم [٢٣٠٨]

(٢) . «شرح صحيح البخارى لابن بطال» (٤/ ٢٢)

(٣) . «شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية» (١/ ٣٨٤)

الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ولما نفضنا عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا. أخرجه الترمذي وصححه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ[1]

ومن الفوائد أيضا :.

تعرفك على أهل صلاح وتقوى غيرهم فهم يُعَرِّفونك على أجناسهم وأضرابهم وهكذا لاتزال تنتقل من خير إلى خير .

ومن الفوائد أيضا :.

أنك تكسب سمعة طيبة وذكرا حسنا بين الناس بمجالستهم ومصاحبتهم فإنك تنسب إليهم والمرأ يعرف بقرينه .

ومن الفوائد أيضا :.

أنك تنال ببركة مجالستهم ومصاحبتهم تنزل الرحمات والبركات والنجاة من سخط الله وغضبه قال بدر الدين العيني رَحِمَهُٱللَّهُ :عند حديث أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ، فَجَلَسَ فِيهَا وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، قَالَ: "أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ

(١) . صحيح . أحمد [١٣٨٣٠] الترمذي [٣٦١٨] الجامع الصحيح [١٢٠٣] صحيح الترمذي - (٣/ ١٩٠)

اللهُ؛ وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ؛ وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ" متفق عليه[١]

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه أن من أعرض عن مجالسة العالم فإن الله يعرض عنه ومن أعرض الله عنه فقد تعرض لسخطه. ا.هـ[٢]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قيل مجالسة العارف تدعوك من ست إلى ست من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الغفلة إلى الذكر ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة ومن الكبر إلى التواضع ومن سوء الطوية إلى النصيحة. ا.هـ[٣]

قال المُناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال الحكماء : من صحب خيرا أصاب بركته فجليس أولياء الله لا يشقى وإن كان كلبا ككلب أهل الكهف.ا.هـ[٤]

ومن الفوائد أيضا :. أن العبد ينال بمجالستهم شفاعتهم له في الآخرة قال الحسن: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة..ا.هـ[٥]

ولذا قال الله عنه أهل النار ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء:١٠١]

---

(١) . البخاري [٦٦] مسلم [٢١٧٦]

(٢) . «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢/ ٣٤)

(٣) . «مدارج السالكين» (٤/ ٢٩٤ ط عطاءات العلم)

(٤) . «فيض القدير» (٥/ ٥٠٧)

(٥) . «تفسير البغوي - طيبة» (٦/ ١٢٠)

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أي شفعاء يشفعون لنا من الملائكة والنبيين والمؤمنين. ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[الشعراء:١٠١]أي صديق مشفق، وكان على رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: عليكم بالإخوان فإنهم عدة الدنيا وعدة الآخرة وإنما قالوا ذلك حين شفع الملائكة والمؤمنون.ا.هـ(١)

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ :فيقول الله : شفعت الملائكة و شفع النبيون و شفع المؤمنون" متفق عليه (٢)

ولذا فإن محبتهم مستمرة لا تنقطع في الدنيا والآخرة قال الله تعالى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّخرُف:٦٧]

ومن الفوائد أيضا :.

أنك تنال منهم دعوةً صالحة في ظهر الغيب عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : " دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل " . رواه مسلم(٣)

(١) . عند تفسيره لسورة [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٩٠ الى ١٠٤] (١٣/ ١١٦)

(٢) . البخاري [٧٠٠١] مسلم [١٨٣]

(٣) . باب " فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب "برقم [٢٧٣٣]

بل بعد موتك ينفعك الله بدعائهم لك عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال : " ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له : إلا شفعوا فيه " . رواه مسلم(١)

بل وشهادتهم لك مقبولة عند الله سبحانه وتعالى عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال مُر بجنازة فأثني عليها خير فقال نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "وجبت وجبت وجبت" ومر بجنازة فأثني عليها شر فقال نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "وجبت وجبت وجبت" فقال عمر فداك أبي وأمي مر بجنازة فأثني عليها خير فقلت وجبت وجبت وجبت ومر بجنازة فأثني عليها شر فقلت وجبت وجبت وجبت فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض"متفق عليه(٢)

وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ " أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة " قلنا : وثلاثة ؟ قال : " وثلاثة " . قلنا واثنان ؟ قال : " واثنان " ثم لم نسأله عن الواحد . رواه البخاري(٣)

ومن الفوائد أيضا:.أن العبد ينال بذلك محبتهم ويحشر العبد مع من أحب عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال يا رسول الله

---

(١) . باب" من صلى عليه مائة شفعا فِيهِ"برقم [٩٤٧]

(٢) . البخاري [١٣٦٧]مسلم [٩٤٩]

(٣) . باب " ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَى الْمَيِّتِ "[١٣٠٢]

كيف ترى في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "المرء مع من أحب" متفق عليه [١]

وما يشهد أهل الإيمان والصلاح إلا لمن جالسهم وصاحبهم وعرفوا صلاحه واستقامته.

بل والله أن مجالسة أهل الصلاح جلاء للهم والحزن خرج عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أصحابه فقال : أنتم جلاء حزني . ا.هـ [٢]

فإن لم يجد العبد جليسا صالحا فليتخذ القرآن جليسا فهو نعم الجليس ، قال المناوي : إذا كان الجليس له هذا التعري فاتخذ الله جليسا بالذكر والقرآن.ا.هـ [٣]

فنسأل الله أن يرزقنا صحبة ورفقة صالحة وأن يحشرنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليما كثيرا .

(١) . البخاري [٥٨١٧] مسلم [٢٦٤٠]

(٢) . «الإخوان لابن أبي الدنيا» (ص١٣٥)

(٣) . «فيض القدير» (٥/ ٥٠٧)